سلسلة دروس

(تعلم محكمات الإسلام من خلال تفسير سورة يونس)

الحلقة الثانية بعنوان

﴿مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ ۚ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾



حسين عبد الرازق

عناصر الحلقة الأولى:

- ✓ ١-أبواب الإيمان
- ✓ ٢-تعلُّم المحكمات والقواعد أولا
- ✓ ٣-سورة يونُس مكيّة ودلالاتُ ذلك
- ✓ ٤-أهم ما جاءت السورة ببيانه
- ✓ ٥-عرضٌ مُلخّص لمعاني آيات السورة بالترتيب
- ✓ ٦-سببُ تسميتها

(١) أبواب الإيمان

القضايا الكبرى والتي يبنى عليها ما بعدها

- بدء الخلق.
- الإيمان بالله وبحكمته في خلقه وأمره.
- النبوة.
- الوحي.
- البعث والجزاء.

الأبواب التي تُبحَث في الإيمان:

- مصادرُ المعرفة: المصادر التي نرجع إليها في المعرفة والهداية والكلام هنا عن الحس والفطرة والعقل والوحي.
- مسائل الإيمان، وقواعده، مسائل التكفير، وأسبابه، وقواعده وشروطه وضوابطه وموانعه.
- الإيمانُ بالله أبواب العلم به وبأسمائه ومحامده الخلق والتقدير والملك، وأبواب حقه على عباده وحكمته من خلق الجن والأنس.
- والإيمان بملائكته.
- الإيمان بكتب الله، وأهمها القرآن الحكيم.
- الإيمان برسل الله عليهم السلام
- رسالة النبي محمد صلى الله عليه وسلم.
- الإيمان باليوم الآخر: ويدخل فيه الكلام عن الفتن وأشراط الساعة وفتنة القبر، البعث، الحساب، الجزاء
- الإيمان القَدَر
- إخلاص العبادة وأعمال القلوب وتزكية النفس والاستقامة وشعب الإيمان والأخلاق) ونحوها من العمل

ولكل باب من هذه الأبواب مُحكمات وقواعد جامعة تضبطه ولابد من العلم بها قبل الدخول في الجزئيات والتفاصيل وسنحاول التركيز على تلك الأبواب ومُحكماتها وضوابطها وقواعدها المستنبطة من الوحي وبيان رسول الله صلى الله عليه وسلم كلما جاء موضعها اللائق بها إن شاء الله.

(٢) جمل في أهمية العلم بقواعد كل باب ومحكماته

- عن قبول الشبهات التي تُعرَض على القلب، والجزع عن المصائب:

أحدُ الأسباب الرئيسة لقبول قلب الإنسان الشُّبهات في حق الله تعالى، أو رسوله صلى الله عليه وسلم أو القرآن أو دين الإسلام أو الصحابة ثم أئمة الإسلام:

أنّ ذلك الشخصَ علاقتُه بهذه الأمور محصورةٌ في أنه نشأ عليها، وسمع فيها كلاما مُجملا، ولم يتعرّف عليها عن قُرب،

لم يعرف من الحُجج والبراهين ما يجعلُها عنده مُحكَمَةً راسخة.

بل معرفتُه هشَّةٌ، وإيمانُه سطحي بحيث يسقط عند أول اختبار، أو عند أول صدمة.

ما دلالةُ ذلك:

ضرورة العمل على تعميق العلم بالله وبمحامده وحِكمته ورحمته وعدله.. وغير ذلك

وعن رسوله صلى الله عليه وسلم وبراهين صدقه وخُلقه ومواقفه وغير ذلك

والوحي والشريعة وحِكمها وعِللها مع نماذج تطبيقية

والصحابة الكرامُ وصفاتهم وأخلاقهم وبذلهم للدين وأبواب الخير التي كانوا عليها وتحمُّلهم الرسالة وتبليغها..

وأئمة الإسلام وما كانوا عليه من علم وورع وتقوى وتأنٍ وصبر في العلم بالشريعة وتعليمها وشرحها وبينها.. إلى آخره..

بقدر علم الإنسان بذلك وبتفاصيله وحُججه يصعب أن يقبل الشبهات بل يُنكرُها قلبه بمجرد ورودها عليه

وستزيده ثباتا ورسوخا..

ونحن بذلك نحاولُ وقاية كثير من الناس من أسباب الضلال ا

وذلك من أعظم أبواب العمل الصالح

- بخصوص [أصحابك وأقاربك الذين عندهم شبهات أو إشكالات، أو ما ينشره مثيرو الشبهات] وواجبِك نحوهم .

هذه ظاهرةٌ مُكررة كثيرا، فأُحاول أن أُجمل فيها القول بتوفيق الله تعالى

أقولُ: شبابٌ من مجالات مختلفة منهم: المهندس والطبيب والمدرّب الرياضي والصحفي والحِرفي وغيرهم، وكثيرٌ منهم يعيش في أوروبا وأمريكا وغيرها من دول الغرب. أحسبُهم عندهم حبُّ للدين وغَيرة عليه وحرص على هداية الناس وحبّ الخير لهم

ويجمعُهم أنهم لم يطلبوا العلم الشرعي أو طلبوه بشكل سطحي (ثقافة عامّة)

هؤلاء الشبابُ ينزعجون جدا من بعض معارفهم وأقاربهم أو زُملائهم في العمل

الذين تأثروا بالإلحاد أو العلمانيّة أو التكفير بغير حق، أو غيره، وكثير منهم ابتُلي بسماع ثُلّة من لُقطاء الفِكر الذين يَبثون شبهات وإشكالات حول وجود الله تعالى أو شريعة الإسلام وأحكامها أو رسول الله صلى الله عليه وسلم أو صحابته رضي الله عنهم.

فيُراسلني – وغيري ممن يُحسنون بهم الظن– هؤلاء الشبابُ ويكتبون لي تلك الشبهات التي سمعوها من أولئك ..

ويطلبون مني أن أُرسل لهم بأجوبة على تلك الشبهات ليُجادلوا بها أقاربهم ومعارفهم و لِيُقنعوهم

ويقولون: نحن لسنا مؤهّلين للرد عليهم فعلِّمْنا كيف نرُد ونُقنع ونبيّن الحق؟

****

النصيحةُ لهؤلاء المُحبّين غير المُؤَهّلين باختصار:

أنتم لستُم مُكلّفين أساسا بالرد ولا المناقشة ولا بيان الحق بل أنتم منهيُّون عن ذلك، لأنكم غير مُستطيعين لذلك، ولا يُكلِّف اللهُ نفسا إلا وسعها

[وعلى فرْض علمي بالأجوبة الشافية الدّامغة لكل هذه الشبهات] فمُجرد إرسالي أو غيري لكم بالأجوبة تلك= ليس كافيا في جعلكم مؤهّلين ولا مُستطيعين: لا لبيان الحق ولا الاستدلال له ولا كشف الشبهة ولا ردّها ولا إقناع صاحبها، ولا شيء، ذلك أنّ تلك الشبهة هي فرعٌ تحت باب علمي له قواعده ومُحكماته وأصوله وحُججه

فتجاوُزُ ذلك للدخول في الجزئيات والإشكالات والشبهات = غلط عظيمٌ

ومضيعةٌ للجهد في الطريق الخطأ، هذا شيءٌ.

ثمّ إنّ الاستدلال لذلك الحقّ وبيانه هذا علمٌ آخر

ثم العلمُ بما يخالف ذلك الحق وحُججه وأصوله التي بُني عليها وبيانُ غلطها وغلط ما بُني عليها والاستدلال لذلك = هذا علمٌ آخر

ثم الحوارُ والمناقشةُ والمناظرةُ تلك المهارات والملكات تحتاج تدريبا وصبرا، وهي علمٌ كذلك

قال ابن تيمة: ((وليس كلُّ من وجد العلمَ قَدَرَ على التعبير عنه والاحتجاج له؛ فالعلمُ شيءٌ، وبيانُه شيءٌ آخر، والمناظرةُ عنه وإقامةُ دليله شيءٌ ثالثُ، والجوابُ عن حجةِ مخالِفِه شيءٌ رابع)) انتهى.

*** فأنت تريد أن تتجاوز كلَّ ذلك لتقفز إلى ميدان:**

المسألة الجزئية والإشكال المعيّن والشبهة الخاصّة، وأنت بعدُ لم تدرس المادّة التي يندرج تحتها البابُ الذي تتفرّع عنه المسألةُ والإشكالُ والشبهةُ، ولا أنت كذلك درستَ شيئا أو تدرّبت على النظر والتصور والجمع والاستدلال والمناقشة والمناظرة ..ولا شيء من ذلك!

وفي ذلك قال الإمام ابن تيمية رحمه الله: ((لابد أن يكون مع الإنسان أصولٌ كليةٌ تُرَدُّ إليها الجزئياتُ، ليتكلم بعلم وعدل، ثم يعرف الجزئيات: كيف وقعت، وإلا فيبقى في كذبٍ وجهلٍ في الجزئيات، وجهلٍ وظلمٍ في الكليات؛ فيتولد فساد عظيم))

وقال: ((إنَّ معرفةَ أصول الأشياء ومبادئها، ومعرفة الدِّين وأصلِّه، وأصلِ ما تولّد فيه = من أعظم العلوم نفعا، إذ المرءُ ما لم يُحط علما بحقائق الأشياء التي يحتاج إليها يبقى في قلبه حَسَكة))

وقال: ((فإن معرفة المرض، وسببه، يعين على مداوته وعلاجه، ومن لم يعرف أسباب المقالات –وإن كانت باطلة – لم يتمكّن من مداواة أصحابها وإزالة شبهاتهم))

****

فأنت أخي الكريم –وفقك الله– تسيرُ في طريق خطإ وتُضيّعُ جهدك ووقتك ووقتَ من تثق بهم من طلبة العلم بمثل ذلك.

لأنك –باختصار– لو تقحّمتَ تلك الأبواب غيرَ مُؤهّلٍ فإنّك جزءٌ من المشكلة ولستَ جزءا من الحَل، بل رُبّما تكونُ الجزءَ الأشدّ ضررا! نعم واللهِ

*فإنك تلِج في باب القول على الله بلا علم، وقفو ما لا علم لك به، والدعوة على غير بصيرة

*وتلك الأجوبة المشوّهة الهزيلة التي تقوم بها تجمعها من جُوجل أو من غيره لعلّها تزيدُ الضالَّ ممن تناقشهم ثباتًا على ضلاله وثقةً به.

* بل إنّك إذ رمَيتَ نفسَك في بحر الشبهات والإشكالات والجزئيات والمقالات والفِرق دُون أن يكون لديك الحصانةُ (من حيث المعلومات والمهارات) التي تواجهها به = فقد أهلكت نفسك وفتحت عليها أبوابًا من الفتن كنتَ في غنى عنها

فما أنت إلا (كجاهلٍ بالسباحةِ أشفقَ على غريقٍ فرمى بنفسه في بحرِهِ ليُنقذه = فهلكا جميعا)

فلا أنت نجوتَ بنفسك ولا نجّيتَه!

وفي حديثه عن ضعفاء العلم و المتلبّسين ببدعة الذين يتصدّون لمناظرة أعداء الإسلام (بغير هُدى من الوحي) و أثرهم

قال ابن تيمية: ((. فالمتكلمون الذين ابتدعوه وزعموا أنهم به نصروا الإسلام و ردّوا به على أعدائه كالفلاسفة =لا للإسلام نصروا ولا لعدوه كسروا؛ بل كان ما ابتدعوه : مما أفسدوا به حقيقة الإسلام على من اتبعهم فأفسدوا عقله ودينه ،واعتدوا به على من نازعهم من المسلمين، وفتحوا لعدو الإسلام باباً إلى مقصوده..))

****

قلتُ:

[فاطلبْ الهدى لنفسك أولا واعتن بها وبوسائل ثباتها، ثمّ في أمر غيرك من الناس الذين تراهم على ضلال أو خطإ فإنْ كُنتَ ترى في نفسك القدرةَ على ذلك= فتوكّل على الله، وأمّا ما عجزتَ عنه، فأنت أخي الحبيب بين أمرين:

١) **إمّا أن تدُلَّ من تراه على ضلال أو عنده شبهةٍ إلى من تثقُ بعلمه ودينه وقدرته على ما تقدّم من العلم والمهارة ..إلخ** = فتكونَ بذلك ناصحا أمينا مُتّقِيًا لله بما استطعتَ ولك الأجر والثواب

٢) **وإمّا أن تدخلَ البيوتَ من أبوابها فتطلب العلم على أصوله**، وتتعلّم كل المهارات المشار إليها، وهذا وذاك يحتاج عمرا وجهدا وتخطيطا وصبر وعزما ..و زَمنا طويلا، فإنْ كنتَ صادق العزم صابرا مُحتسبا= فتوكّل على الله وابدأ، والطريق أمامك، والخطط العلميّة متوفّرة، والنصيحة لك مبذولة، والعَونُ لك مكفولٌ بإذن الله وإلا فدعْ تلك الأمور لأهلها فلست مُكلّفا بها ولا مسؤولا عنها ..وانجُ بنفسك

أنا هنا لا أنتقصُك ولا أُعجِّزُك ولا شيء من ذلك؛ بل أنا –واللهِ– ناصحٌ لك ومُحِبٌّ.

وفي سياق حديثه عن الفلاسفة و من اتبعهم من المتكلمين في طريقة الجدل (و إيراد الإشكالات و الاعتراضات والتي هي شغلُهم الشاغل).

قال ابن تيمية: ((ويدلك على ذلك أمور:

– أحدها: أنك تجدهم أعظمَ الناس شكًّا واضطرابا، وأضعفَ الناس علما ويقينا، وهذا أمر يجدونه في أنفسهم ويشهده الناس منهم، وشواهد ذلك أعظم من أن تذكر هنا.

وإنما فضيلة أحدهم باقتداره على الاعتراض والقدح والجدل، ومن المعلوم: أن الاعتراض والقدح ليس بعلم ولا فيه منفعة وأحسن أحوال صاحبه: أن يكون بمنزلة العامي

وإنما العلم= في جواب السؤال، ولهذا تجد غالب حججهم تتكافأ إذ كل منهم يقدح في أدلة الآخر))

قلتُ: هذا بالتحديد هو أهم نقد لمن ينشغل بالاعتراضات والإشكالات والشبهات والجدل فيها دون محاولة لإيجاد حلول أو أجوبة أو بناء أو تأسيس أو محكمات!

- فُلان الذي لم يطلب العلم صار- فجأة- (مُتخصّصًا في الردّ على الشُّبهات المثارة ضد الإسلام)

شباب كثير أرى فيهم حُبا للإسلام و غِيرة عليه و اعتزازا به و بالنبي الكريم صلى الله عليه و سلم و بالصحابة .لكنهم ضعفاء في العلم بالشريعة أو بتاريخ الإسلام ..أو بالفرق والمذاهب و نحو ذلك و كثيرٌ منهم غاية علمه بعض مقالات قرأها و كم يوتيوب شاهده ..

تحركهم تلك العاطفة فيُضيعون أوقاتهم في تتبع ما يقال عن الإسلام و النبي الكريم و الصحابة من شبهات ..و يطلبون معرفة جواب كل شبهة ..ثم يحاول أن يدخل في مناظرات و مناقشات مع النصارى أو العلمانيين أو الشيعة ....

و لو طلبتَ من أحدهم أن يصبر و يتوقف عن تلك المناظرات يقول لك :كيف أترك هؤلاء يتهجمون على الإسلام ؟!!

فأقول:

ما هكذا يُدرك العلم ..ما هكذا يُنصر الدين ..و ما هكذا ترد الشبهات ..

و المدافع عن الحق يلزمه أمور :

-أن يكون خبيرا به و بأدلته ووجه الاستدلال منها

-أن يحسن تقريرها وعرضها وشرحها

-الخبرة المفصلة بالباطل الذي يريد أن يبين بطلانه

-القدرة على الجدل والمناظرة

وتلك الأمور تحتاج صبرا واجتهادا وبحثا ودراسة ومدارسة

فإن لم يكن الباحث مؤهلا =كان جزءا من المشكلة وليس جزءا من الحل

وأنت لست مكلفا برد الشبهات ما دمت لست مؤهلا

وكثيرا ما تنتشر تلك الشبهات بسبب هؤلاء الشباب أنفسهم!

وليس كل شُبهة يلزم الرد عليها.

كما أن كثيرا ممن يناظرهم هؤلاء يُشقيه و يُتعبه بالمناظرة و الجدل و لا يناظر مناظرة من يطلب الهدى و الرشاد على مذهب (فإنهم لا يكذبونك)و يبقى الأخ يُتعب نفسه في الجدال معه (يجادلونك في الحق بعدما تبيّن) و كثير منهم أصلا يتعمد تشكيكا وليس مناقشة مثمرة .و هذا باب واسع

وإن كانت إرادتُك لنصرة الإسلام من هذا الباب قوية=فادخل البيوت من أبوابها وخذ بأسبابه واسع له سعيَه (ولو أرادوا الخروج لأعدوا له عدة).

* لا شك نصيحتي تلك لمن ليس مؤهلا.

*وإن كان مما يشغلُني: لماذا يتشوّف الكثير بمناقشة وجدال المخالفين من الكفار أو المبتدعة أكثر من اعتنائه بدعوة وإرشاد المسلمين وبيان المحكُم من الشريعة؟

ولا أنكر فضل ذلك، لكني أراها صارت ظاهرة أو (مُوضة).

- **من الأمور الجوهرية التي ينبغي ملاحظتُها عندما تريد كشفَ أيّ شُبهة جزئية تُثار على دينك :**

أن كشْفها بمجرّده لا يترتب عليه إثبات صحة دينك عند مُثيري تلك الشبهات، ولا اقتناعهم به، ولا بطلان ما هم عليه

إنما كشفُها فقط ردٌّ على مسألة جزئية.. غايتُه إثبات غلط الشبهة

والخطاب فيها يكون موجَّهًا بالدرجة الأولى للمسلمين لشرح الشبهة وبيان غلطها، وبيان المحكمات التي تُرَد إليها، لتطمئن قلوبهم بالعلم، وليس لمثيري الشبهات من خارج الإسلام

من فقِه هذا:

علم أن الإغراق في الجزيئات، والاهتمام بكشف الاعتراضات وحل الإشكالات وردّ الشبهات بل ومجرد بيان بطلان المذاهب والملل والأفكار = ليس دعوةً للإسلام..

بل هو – مع أهميته– فقط مجرد دفاع جزئي

ولا يكون دعوةً للإسلام إلا بذكر المسائل الكبار الجامعة التي يتفرَّع عنها غيرها، والاستدلال على أصوله وبيان مُحكماته وذكر حُججها ..وبيان حكمة التشريع ونحو ذلك

وعلى الهامش:

وقد أخبرني بعض الأصدقاء أن عددا من النصارى الذين أسلموا، قالوا عن أشهرِ مُناظِرٍ مُسلم في العصر الحديث (مع ما قام به من جهد كبير):

-استطاع أن يُبغّض إلينا النصرانية ويثبت بطلانها

-ولم يهتم (أو لم يستطع) أن يشرح لنا الإسلام ولا أن يُحبِّبنا فيه ولا الاستدلال له!

قلتُ:

فإن المناظِر عن الإسلام يحتاج تكوين شاملا ومهارات

- **عن الشباب الذي يُصورنه على أنه الضحية الذي دخل الإلحاد بسبب تصرُّفات المشايخ او العلماء أو المسلمين!!**

((وكان الخيارُ الصعبُ الذي وضعه أعداءُ الدين مِن المفكّرين وغيرهم أمام الشخص النصراني الأوروبي هو:

إما أن يُؤمنَ ب(صكوك الغفران) التي اخترعَها رجالُ الكنيسة واستطالوا بها على العامّة=فيحكمَ على نفسه-تلقائيا- بالجمود و الغباء و الرجعية المتناهية، و إما أن يكفر بها= فيلزمَه الكفرُ بالإطار الذي يحويها بكامله... إطار الدين و الغيب لا سيما الآخرة..)){بتصرُّف نقلا عن كتاب العلمانية لسفر الحوالي شفاه الله وعافاه}

قلتُ:

بالتحديد هذا ما يفعله العالمانيون والملحدون وأشباههم تجاه ما يرونه غلطا مما يفعله بعضُ العلماء أو الدعاة او المسلمين يلتقطُ شيئا ربما يكون غلطا فعلا ، رُبّما (وإن كان أكثرُ ما يُنكرونه هو من الدين بل من المحكمات، لكن لجهلهم يظنونه ليس من الدين)

المهم: لا يكتفي بإنكار ذلك الخطأ وحده ..بل لا يرضى بأقل من هدم كل الإطار الذي يحويه بكامله (بحُجة ان نفسَ الدين هو الذي أنتج تلك التصرُّفات)!

ومثلا: لو أنكر على بعض الجماعاتِ الجهادية غلواً أو تكفيرا بغير حق ..فإنه يجعلك بين ثنائية:

-إما أن تكفر بهذا الغلو و التكفير =فيلزمُك أن تكفر بنفس فكرة الجهاد (بحُجة أن نفس الجهاد هو الذي أنتج ذلك الغلو)

-أو تقبل بفكرة الجهاد فيلزمك قبولُ كلِّ ما صدر عن أفراد المجاهدين فتحكم على نفسك بالغلو و التكفير و التخلف و الرجعية... إلخ !

أو مثلا: يُنكرون بعض تصرفات المحجبات أو المنتقبات = فيُنكرون الحجاب من أساسه! وعلى ذلك فقِس

وأقول:

عامَّةُ الشبهات المثارة على الإسلام وشرائعه ورسوله صلى الله عليه وسلم وصحابته = هواءٌ

والأجوبة عنها سهلةٌ ومتنوعة

لكن الإشكالية ليست في قوة الشبهة بل في ضعف المتلقي

ذلك المسلم الذي يعيش عمره مُفرّطا في دينه علما وعملا

ثم أذا قرّر الالتفات إلى أمر دينه قصدَ طريق الشبهات والإشكالات والجدل والمناظرات والخصومات= فنبتَ لحمُ دِينه

من ذلك الخليط الذي غايتُه أن يكون دواءً قد يَحتاج إليه

لا أن يكون غِذاءً يعيشُ عليه

فمُحكمات الشريعة هي الغذاء

ورد الشبهات وحل الإشكالات هو الدواء

والضلال أن تضع أحدهما مكان الآخر..

قلتُ: والواجب على العبد أن يطلب الهدى من مصدره (الوحي) وأن يجعله المنطلق في البحث، والمردَّ عند التنازع، والفصلَ بين المختلفين

ثم يزنُ به المقالات والأفكار المتعلقة بالدِّين (إن كان أهلا لذلك)

وإن لم يكن من أهل العلم فهذا ليس له أن يجتهد أساسا إلا في حدود ما يعرف

فإذا وجد شيئا أنكرَه عقلُه:

-فلا يحق له أن يعتبره مُنكرا بمجرد ذلك (فربما كان حقا لكنه لجهله ظنّه باطلا أو منكرا)

-بل الواجب التثبُّتُ وسؤال أهل العلم ممن يثق بدينهم وعلمهم

-فإذا تحقق كونَه خطأً أو مُنكرا= فليتركه لا يعمل به

(والنبيُّ صلى الله عليه وسلم بيّن أنّ من المسلمين-بل ومن أهل العلم- مَن يُنفّرون عن الدين خطأً منهم... . نعم.. وأنكرَ ذلك عليهم.. وبيَّن وجه الحق في تلك المسائل) فعن أبي مسعود الأنصاري قال: ((جاء رجلٌ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: يا رسول الله، إنِّي والله لأتأخَّر عن صلاة الغداة مِن أجل فلان ممَّا يُطيل بنا فيها، قال: فما رأيتُ النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم قطُّ أشدَّ غضبًا في موعظةٍ منه يومئذ، ثمَّ قال: يا أيُّها النَّاس، إنَّ منكم مُنَفِّرين؛ فأيُّكم ما صلَّى بالنَّاس فليوجز، فإنَّ فيهم الكبير والضَّعيف وذا الحاجة))

فهنا الرجل لما أنكر من أحد أهلِ العلم أمرًا ذهب إلى أهل الذكر فسأل عنه فبُيِّنَ له.. كلُّ ذلك ثابت ووجهُه مفهومٌ

-و يُمكن أن يصعب عليه امتثالُ بعض الأعمال من الدين فيُقصّر فيها من باب المعصية ويُجاهد نفسه عليها..

-أما أن يترك الشخصُ الدِّينَ كلَّه أو يصير مُلحدا بسبب ذلك الخطأ= فهذا الشخصُ مع كونه كافرا فاجرا=فهو من أحمق الناس وأبخسهم حظا

نعم

فأولا: ما التلازم بين ذلك الخطأ وتركِ الدين أو الإلحاد؟!

هل إذا أخطأ طبيبٌ أو مهندس أو معلّم يقتضي أن نكفر بالطب والهندسة والتعليم!!

ثم ما علاقة أن تُنكر بعض تصرُّفات الدُّعاة أو كُلّها، وأن تُنكر الدينَ الذين ينتمون إليه، بل تُنكر الإلهَ تبارك وتعالى نفسَه

أيُّ حماقة هذه!

ولكن أكثرهم أو كلَّهم تجحدون بألسنتهم فقط دخولا في مُوضة الإلحاد.. يريدون التمرُّد وفقط، يُحبّ أحدهم أن يعيش دور البطولة بإعلان الإلحاد في مجتمعات مؤمنة، يُسعدهم أن يكونوا قضيةً مُثارةً

يلتذّون بأن يُعرَضَ عليهم الإيمانُ والتوبةُ ويترجّاهم المتدينون ليرضَوا عن الإسلام!

وإنه لمن الحماقة واللهِ والجهلِ بالشرع والسذاجة: أن يُعظَّم هؤلاء الفجرة الكفرة المجاهرون بالإلحاد المتبجّحون به المعلنون إنكار اللهِ أو كراهتَه أو انتقاص، الشاتمون لأهل الإيمان السّاخرون من الشعائر

من الحماقة أن يُتعامل معهم بمقتضى التوقير والاحترام والرفق واللين ونحو ذلك وهم لا يظهرون بمظهر من عنده شبهات يريد كشفها أو يطلب الهدى أو يحزن على ما هو عليه

بل (يتبجّح ويتكبّر ويستعلي ويستطيل بل ويسخر هو من المؤمنين ويحقرُهم)!!! ثم نترجّاه نحن !

- **تكامُل الجهود في بيان الهدى وكشف الباطل**

هذه كلمات أرجو أنها مهمة لكل من يسعى لنصرة الإسلام في أي مجال..

كلمة عن نهضةٍ ملحوظة من طلاب العلم وأهل الخير في اتّجاه: نقد/نقض المِلل الباطلة والمذاهب الفكرية الضالة، ورد الشبهات ودفع الإشكالات:

أقول: جهودٌ عظيمة ومنظمة وبجودة عالية من شباب وأساتذة في مجال نقد/نقض الإلحاد والعالمانية والليبرالية ونحوها من مذاهب فكرية باطلة، وهداية الشباب لصدق الإسلام والثبات على الإيمان ونحو ذلك من الأسئلة الكبرى (المبدأ/ الغاية/المصير)

ولكن:

يجب في خط موازٍ الاعتناءُ بتأسيس المؤمن ببيان مُحكماتٌ الشريعة وأحكام الإسلام وأخلاقه وآدابه، وبيان أبواب الإيمان والأحكام (عبادات و معاملات) وتفاصيلها.. والدعوة إلى الطاعات والعمل الصالح ونحو ذلك

لابد من الاعتناء بذلك..

بل لابد أن تُعطى المساحة الأكبر من الاهتمام، وتكون الأصلَ، والغايةَ التي تبقى وتستمر ثم يُضم معها غيرُها من المقاصد التي تُحددها الحاجةُ ويفرضها الواقعُ الدعوي فتأخذُ وقتها المناسب ثم يُرجع مرة أخرى لإعطاء المساحة الأكبر للتأسيس الإيماني–و المعرفي و العلمي/ (الاستقامة على الشريعة)

فكثير من الجهود مؤخّرا و اهتمامات الشباب والمؤسسات صارت تعمل في اتجاهين فقط :

–الهجوم (بنقض المذاهب الباطلة)

– الدفاع (رد الشبهات عن الإسلام ودفع الإشكالات عنه)

وهذه مع أهميتها والحاجة إليها = تبقى بمنزلة الدواء الذي قد يُحتاج إليه عند الحاجة وبقدر الحاجة.. لا أن يصير غذاءً يتغذى عليه المسلم (مُثقفًا كان أو عاميًا أو طالب علم)!

بل يبقى الغذاء هو: تأسيس المسلم ببيان الوحي ومُحكماته: بأخباره وقصصه وأحكامه وأخلاقه وحُججه وبراهينه المؤدي إلى استقامته عليه والعمل به

فخيرُ طريق لردّ الشبهات = بيانُ المحكمات

وخيرُ طريق لدفع الإشكالات= بيانُ براهين الحق

وخير طريق للنهي عن المنكر= الأمر بالمعروف

وخير طريق لمقاومة الفواحش= نشر الطيبات ودعمها

وإلا سيبقى المسلم: يعرف عن الباطل ونقده ما يُبغّضُه فيه.. نعم

لكنه في ذات الوقت:

لا يعلم عن الإسلام إلا خطوطا عريضة، ومعلومات عامة لا تكفي في التمسك به، ولا البقاء عليه، ولا الاستقامة عليه، بل يبقى صاحبُه مُعرّضًا لشبهات جديدة، أو أفكار جديدة وافدة.. فليس عنده وقاية عامة من مثل ذلك

وقد ذكر بعضُ النصارى الذين كانوا يسمعُون بعض الشيوخ المسلمين الذين يُناظرون القساوسة وينتقدون النصرانية:

لقد استطاع الشيخُ (فلان) أن يُبغّض إلينا النصرانية.. نعم

لكنه لا عرّفنا على الإسلام، ولا على براهينه ولا على أحكام، ولا استطاع أن يُحبّبنا فيه ...

لذلك أقولُ:

لا يكون العلم بالإسلام والثبات عليه والاستقامة والوقاية العامة من الباطل: إلا بهذه الثلاثية الواردة عن مقاصد القرآن:

(هدى للناس وبينات من الهُدى والفرقان)

١-بيانُ الهدى للناس

٢-إقامة البراهين على ذلك الهدى

٣-الفرقان بين الهُدى والضلال

وهذه المقاصد تتكامل ويدعمُ أحدها الآخر

ولذلك لابد:

- أن تتكامل جهود أهل الإسلام ممن يطلبون نصْرَه

-وأن يُعرف لكل جهود فضلها ودورها

-ويتعاون أصحابُ كل اتجاه، ويتناصحون

-ويحمدُ أحدهم الآخر ويعرف فضله

-ويتكلم في دائرة معرفة ومجاله

-ولا يقف ما ليس له به علم

-ولا يستنكف أن يسأل أخاه عما أُشكل عليه في مجاله أو في غيره

-وألّا يكون شحيح النفس، بل يسعد بانضمام من يريد العمل معه في نفس المجال، ويقترب منه ويُفيده وينتفع منه

-وألّا يتيه بعمله أو معارفه

-وألا يحقر إخوانه العاملين في مجال آخر أو يُقلل من قيمة عملهم

فالمطالب الدينية الشرعية أعظم وأوسع من أن تُنغّص بالجسد وشُح النفس وحظوظِها!

وينبغي أن يكون الهدف/ نُصرة الإسلام =هدفا أعظم تتصاغر أمامه، بل تتلاشى كلُ أهداف (سواء أهداف شخصية أو حزب أو جماعة أو مؤسسة)

حينها سيبارك الله تعالى في جهودنا بتحقُق الأمرين المتلازمين:

((أقيموا الدين ولا تتفرّقوا فيه))

- **عن فقه تعليم الناس:**

فكرة يسيرة اقترحتُها على صديقي الداعية الشيشاني الروسي الذي ينتفع منه آلافٌ من أهل بلده وغيرهم والذي كانوا يشكو من كثير من المشكلات التي تواجهه مع الناس أثناء الدروس:

قلتُ له: غيِّر اسمَ الدرس فلا تُسمِّه: درس العقيدة ولا: التوحيد

سمِّه: درس (الإيمان)

ولا تذكر للناس الأسماء التي يخافون منها أو ينفرون عنها

مثل (ابن تيمية) و (محمد بن عبد الوهاب)

فلا تدخل في جدال جانبي معهم بشأن هؤلاء العلماء

وعلّمهم الإيمان من خلال آيات القرآن وأحاديث النبي صلى الله عليه وسلّم

مع شرح ذلك لهم بشكل مُبسّط دون إلقاء إشكالات أو شبهات، مع ذكر كلام الصحابة ثم الأئمة الأربعة، أو المِقبول منهم في أهل بلدك

*وقاوِمْ البدعة= بنشرِ السُّنة

*وقاوِمِ الشبهات بنشر المحكمات

*لا تُضع الوقتَ في الجدال مع أصحاب الخصومات والجماعات عندكم

** بحمد الله وفضله: كان ذلك سببا قويّا لتقبُّل الناس للسُنة والخير، وتجنّب مشاكل كثيرة جدا..

كثير جدا تكون الحواجز بينك وبين الخير وَهميّة، أو سبب المشاكل لا يستحقّ التشديد، ولا أن يُوالى ويعادى عليه

من التجارب الواقعية:

من الأخطاء المتكررة، والتي أخرّت كثيرا من الخير وأغلقت نوافذ المنفعة بلا داعٍ:

التصميم على تعليم الناس للإسلام والإيمان والشريعة والفقه من خلال ربطهم بأشخاص معينين كابن تيمية أو محمد بن عبد الوهاب رحمهما الله أو غيرهما والمولاة والمعاداة عليهما

*في كثير من الأماكن يكون مجرد ذكر هذين الرجلين =جريمة

ولا يزال الكثير يحرص على التشديد في الانتماء لهما و الموالاة و المعاداة عليهما ،و يعطل كثيرا من الدعوة والخير بمثل ذلك...

و كمثال لفقه الدعوة: فإن ابن أبي العز الحنفي نشر أهم ما في تراث ابن تيمية ولم يذكر اسمه لنفس العلة ..وحصل خير كثير بذلك و نقل الكثيرين عن البدع التي كانوا عليها .

ثم إن الناس ليسوا مُلزمين أصلا باتباع آحاد العلماء مهما كانت منزلته

الحكمة في الإصلاح:

اربط الناس بالله ورسوله صلى الله عليه وسلم والصحابة الكرام والوحي.

وعلِّمهم من خلال الوحي (تفسير القرآن وشرح السنة) فهذا الأصل العام المتفق عليه

ومن خلالهما اشرح ما تريد من الحق.

هذا لا شك إذا كان المقام يقتضي عدم ذكر علماء معينين

وأحسب أن مقصود التنبيه واضح

(٣) سورة يونس مكية:

نزلت سورة يونس بمكة وقد كان فيها النبي صلى الله عليه وسلم وصحابته يواجهون كفار قريش وصدّهم عن سبيل الله وتكذيبهم رسول الله وتعذيب أصحابه وفتنتهم عن دينهم وقولهم في رسول الله شاعر، كاهن، مجنون، مُفتر، ساحر وغير ذلك

فجاءت السورة تثبيتا لرسول الله ومن معه، وإنذارا للكافرين

افتُتحت بذكر تعجُّب المشركين من إيحاء الله لرجل منهم ليُنذر ويُبشّر (وهذا يتضمن تعجبهم من أمور: من اصطفاء الله لرجل منهم ومن أن يكون لوجودهم حكمة بحيث يُنذر من لم يعمل بها ويُبشّر من عمل، ومن قدرة الله على البعث ومن الجزاء والحساب وقولهم إنه ساحر وأن القرآن سحر وكفرهم به، (فكأنه ذكر آياته في الخلق وبيّن أن الذي أحكمها لا يمكن أن يكون خلقها بغير حق ولا حكمة، أو تركهم سدى بغير أمر ونهي، أو أمرهم ونهاهم بغير هدى منه ووحي، أو لم يجعل لهم يوم يُجزون فيه أو يُسوّي بين المسلم له العامل بما خلق له وبين المجرم) فمن خلق ذلك خلقه بحق وللحق ولا يمكن في حكمته أن يُسوّي بين المسلم والمجرم

وهؤلاء رضوا بالحياة الدنيا ولم يؤمنوا بالبعث

ومع معرفتهم بأن ربهم هو الخالق المدبر مالك الضر والنفع أشركوا به في دعائهم

ودعاؤهم له محصور في الحياة الدنيا ولم يعملوا للآخرة (ومن الناس من يقول ربنا آتنا في الدنيا وما له في الآخرة من خلاق)

ومع ذلك كانوا في عبادتهم ودعائهم التي لا يرجون بها الآخرة يُشركون به! بل يتخذون شفعاء يتقربون إليهم

يعني أن عبادتهم ما هي إلا نوع من الوسيلة لنيل ما يرجون من نفع ودفع ضر في الدنيا

ومع ذلك هم يشركون بالله في دعائهم ورجائهم

فلذلك هم يريدون العاجلة ويعملون لها ولا يريدون الآخرة ولا يسعون لها سعيها

وذكرَ الله ما كانوا عليه من الشرك في عبادة الله عند وإنكارهم البعث وأحوالهم في الرخاء والشدة، وتحريمهم وتحليلهم بأهوائهم وافتراءهم على الله الولد وغير ذلك من الضلال

فأقام الله براهين الحق وذكر آياته في خلقه وأمره، وذكر بدأ الخلق وحكمته ومصير العباد وجزاءهم، وبيّن أن المخالفين له ليس معهم أي برهان ولا حجة ولا سلطان على ما هم عليه إن يتبعون إلا الظن وإن هم إلا يخرُصون، فالمعبود

ناقص مخلوق لا يملك ضرا ولا نفعا ولا يأمر ولا ينهى ولا يهدي ولا يُحاسب ولا يُثيب ولا يعاقب، بل أنتم تحلون وتحرمون من أنفسكم ..فمن أي وجه تعبدونه؟

(قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لَا يَهِدِّي إِلَّا أَنْ يُهْدَى فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ (٣٥) وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ)

وفي ذلك بيان أن الإله المعبود الحق لابد أن يكون له أمر ونهي وان يُنزّل هدى/وحيًا يهتدي به العباد، وأن يكون على أعمالهم جزاء وثواب وعقاب وألا يُسوّي بين المؤمن والكافر المجرم

وآيات خلق الله تنفع المتقين فيؤمنوا أن من خلق هذا لا يمكن أن يكون خلقه باطلا، أو لعبا، أو لهوا، أو ترك عباده سدى بغير أمر ولا نهي، أو بغير هدى أو لغير جزاء.

(إِنَّ فِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَّقُونَ)

ومن لم يؤمن بأنها خُلقت بحق فهو الذي سيتعجب من الحكمة والوحي والرسالة والأمر والنهي والبعث والحساب والجزاء فلذلك سيرضى بالدنيا ويطمئن بها ولن يُقدّم أعمالا يرجو بها لقاء الله

لذلك بعد ذكره سبحانه المتقين المؤمنين بآيات الله قال ((إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ (٧) أُولَئِكَ مَأْوَاهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ)

(٤) أهم ما جاءت سورة يونس لبيانه

أولا: آيات الله في خلقه برهان علمه وقدرته ورحمته وحكمته في خلقه:

فجاء بيانُ أن الله هو ربنا وخالقنا ويُدبّر أمورنا فهو الإله الحق وخلق بالحق وللحق

وذكرُ آياته في خلقه برهانٌ على حكمته من الخلق وذلك مقتضٍ أن يكون خلق لحكمة وهَدَى وبيّن وأوحى وسيبعث ويُجازي ولا يُسوي بين المسلم والمجرم

(أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ)

فالملك الحق لا يفعل ذلك فهو رد على من تعجّب من إيحاء الله لرجل وما تضمنته رسالتُه. وأولو الألباب يعلمون ذلك

((وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ (٢٧) أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ (٢٨) كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ))

وتأمّل هذا الجمع لهذه المعاني جميعا بيان بدء الخلق والأمر والنهي والبعث والجزاء وبيان الوعيد للمُكذّب المتولي الذي حسب أنه خُلق سدى/ هملا

(كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ (٢٠) وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ (٢١) وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ (٢٢) إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ (٢٣) وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ (٢٤) تَظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ (٢٥) كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ (٢٦) وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ (٢٧) وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ (٢٨) وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ (٢٩) إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ (٣٠) فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّى (٣١) وَلَكِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى (٣٢) ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى أَهْلِهِ يَتَمَطَّى (٣٣) أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى (٣٤) ثُمَّ أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى (٣٥) أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى (٣٦) أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَى (٣٧) ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى (٣٨) فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى (٣٩) أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى)

وفي سورة يونس:

(إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ (٣) إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا إِنَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ (٤) هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (٥) إِنَّ فِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَّقُونَ)

فمن علِم ذلك في خلقِ الله استدلّ به على إحكامِ أمره فيعلم أن صلاحه في حياته بقدر اتباعه لهدى الله المنزّل، لذلك أمرَ الله آدم وذريته بعدما هبط على الأرض ((فإما يأتينكم منى هدى فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى..))

وأرسل رسله وأنزل كتبه ليقوم الناس بالقسط، ولن يقوموا بالقسط إلا بوحيه وهداه

ثانيا: هدى الله المنزّل على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم هو القرآن:

فجاء بيانُ أنه: (آيات بينات-كتاب حكيم -حق- من عند الله- لا يملك أحد تغييره ولا تبديله- هدى -شفاء- رحمة- نذير وبشير) وجاءت براهين عقليّة على صدقه، وبيان شدة ظلم من افترى على الله كذبا أو كذّب بآياته، والأمر باتباعه والصبر عليه

(تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ) (وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (١٥) قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُمْ بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِنْ قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (١٦) فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْمُجْرِمُونَ)

(وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَى مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٣٧) أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٣٨) بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ (٣٩) وَمِنْهُمْ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهِ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِالْمُفْسِدِينَ)

(يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ (٥٧) قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ)

(قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ (١٠٨) وَاتَّبِعْ مَا يُوحَى إِلَيْكَ وَاصْبِرْ حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ)

وآيات الله تعالى:

(في خلقه) و(الوحي) (الآيات على صدق رسله) كلها متوافقة يصدق بعضها بعضا وكلها في سبيلٍ واحد

ثالثا: علمُ الله حكمته ورحمته وعدله تعالى في خلقه وقدره وأمره وتدبيرِه وبيانُ أنه لا يُضل عبدا إلا بحكمة وعدل ولم يظلمه بل هو الظالم لنفسه، كما أنه سبحانه يزيدُ الذين اهتدوا هدى.

(لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ)

(إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ أُولَئِكَ مَأْوَاهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ)

(وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُواْ وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ...)

(وَٱلَّذِينَ كَسَبُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍۭ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ)

(هُنَالِكَ تَبْلُواْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا أَسْلَفَتْ...)

(كَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ فَسَقُواْ أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ)

وبالمقابل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَانِهِمْ ۖ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ)

(لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ...)

رابعا: ذكره لأحوال الناس عند الضر والرخاء بيان لعلمه بهم وعدله في جزائه

((وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُمْ بِالْخَيْرِ لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ فَنَذَرُ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ (١١) وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنْبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَنْ لَمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرٍّ مَسَّهُ كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ)

(وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُمْ إِذَا لَهُمْ مَكْرٌ فِي آيَاتِنَا قُلِ اللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ (٢١) هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنْجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ (٢٢) فَلَمَّا أَنْجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (٢٣) إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَنْ لَمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾

فالله تعالى أعلم بأحوال عباده مَن الشاكر نعمته العامل بها في طاعته ومن الكافرُ الباغي

وكما سيأتي إن شاء الله في عدم قبول إيمان فرعون وسببه

خامسا بيانُ الحق والهدى وآياته وبراهينه، وصفات المنتفعين به والخاسرين الضالين المعرضين، ودعوة الله الناس إلى دار السلام وهدايته من يشاء إلى صراط مستقيم:

((والله يدعو إلى دار السلام ويهدى من يشاء إلى صراط مستقيم))

ذُكِر الهدى والحق في كل أمر وبيّنات الهدى وبراهينه، والفرقانُ بينه وبين الباطل

الحق في كل أمر في (المبدأ والحكمة من خلقكم والهداية والرسالة والوحي والمصير) جاءكم فيه الحق

وخُتمت السورة بالحق ((يا أيها الناس قد جاءكم الحق من ربكم فمن اهتدى فإنما يهتدى لنفسه))

لا أعلمُ سورة ذُكر فيها كلمة حق وما اشتُق عنها مثل سورة يونس

تكرر ذكر لفظ (الحق) كثيرا لأن الحق بخلاف الباطل والكذب واللعب والعبث واللهو

وقد قال قومُ إبراهيم له (أجئتنا بالحق أم أنت من اللاعبين) فالذي يجيء بالحق هو الذي يُخبر بالصدق ويأمر بما ينفع

فالله تعالى هو الحق يخلق بالحق، وللحق، وآياتُه حقٌ، ووعدُه حق، وقوله حق، ويُحِقّ الحق، ويُبطل الباطل فلذلك اتّباعُه هو أحقُّ واجب على العباد (وعد الله حقًّا إنه يبدأ الخلق..) (ما خلق الله ذلك إلا بالحق) دعوة للتفكّر: أيمكن أن يكون خالقُ هذا الخلْق المحكمِ عابثا أو لاعبًا أو خلَقه باطلا ؟! فهو وإن كان برهانا على قدرته فهو كذلك برهان على حكمته في خلقه وأمره

وذكر الذين لا يَتبعون الحق (يبغون فى الأرض بغير الحق) (فذلكم الله ربكم الحق فماذا بعد الحق إلا الضلال) وكلمة الله وحكمه فيهم بالحق بما يستحقون (كذلك حقّت كلمة ربك على الذين فسوا أنهم لا يؤمنون)

نفيُ قدرة غير الله على الهداية إلى الحق (قل هل من شركائكم من يهدى إلى الحق) وبيانُ أنه وحده الذي يهدي للحق فلذلك هو أحقُّ ان يُتّبع

(وَيَسْتَنبِئُونَكَ أَحَقٌّ هُوَ قُلْ إِى وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ وَمَا أَنتُمْ بِمُعْجِزِينَ) و (أَلا إِنَّ لِلّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ أَلاَ إِنَّ وَعْدَ اللّهِ حَقٌّ وَلَـكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ)

آياتُ الله حق (فلمّا جاءهم الحق من عندنا قالوا إن هذا لسحر مبين)

والله تعالى (يُحِق الحق بكلماته ولو كره المجرمون) (إن الذين حقّت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون) وجعلَ حقًّا عليه إنجاء المؤمنين من العذاب الذى يُحقّه على المجرمين (كذلك حقًّا علينا نُنج المؤمنين)

الحق في كل أمر في (المبدأ والحكمة من خلقكم والهداية والرسالة والوحي والمصير) جاءكم فيه الحق

وخُتمت السورة بالحق ((يا أيها الناس قد جاءكم الحق من ربكم فمن اهتدى فإنما يهتدى لنفسه))

فجاء فيها بيانُ صدق القرآن وأنه من عند الله، ومقاصده من الحجة والرحمة والموعظة والشفاء، وملك الله وتدبيره وخلقه وأمره وحكمته ورحمته وبيان الحق وإبطال الباطل، والنهي عن القول على الله بغير علم في شرعه وخلقه وأمره، وبراهين البعث والحساب والجزاء، وإبطال دعاوى المشركين في حق الله من ادعائهم له الشريك والولد، ودعاواهم في حق النبي وذكر براهين نبوته وأمره بأن يتبع سبيل من سبقه من الرسل وألا يحزن على قولهم وبأن يتبع الوحي ويصبر ويتوكل على الله، وبيان جزاء المؤمن وجزاء الكافر وأن كلا يُجزى بعمله

سادسا: بيانُ قدرةِ الله، والإيمان بقدَره ورحمته، وأثر ذلك في علم العبد وعمله:

(قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ)

(وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ وَلاَ تَدْعُ مِن دُونِ ٱلله مَا لاَ يَنفَعُكَ وَلاَ يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ)

(وَإِن يَمْسَسْكَ ٱلله بِضُرّ فَلاَ كَاشِفَ لَهُ إِلاَّ هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلاَ رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصَيبُ بِهِ مَن يَشَاء مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ)

سابعًا: الإيمان والتوكلّ:

في ذكر نوح عليه السلام الذي آمن بالله وآياته وعلم حكمته وصدّق خبره وعلم صدق وعده فتوكل على الله تعالى فأنجاه الله ومن معه (وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِى وَتَذْكِيرِى بِآيَاتِ اللهِ فَعَلَى اللهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُواْ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءكُمْ ثُمَّ لاَ يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُواْ إِلَيَّ وَلاَ تُنظِرُونِ)

قصة موسى وأمره لقومه الخائفين من فرعون وملئه بالعمل بمقتضى الإيمان وهو التوكُّل على الله واستجابتهم له (وَقَالَ مُوسَى يَا قَوْمِ إِن كُنتُمْ آمَنتُم بِاللهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُواْ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ * فَقَالُواْ عَلَى اللهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لاَ تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ)

ووعد الله للمؤمنين بالنجاة (كذلك حقًا علينا نُنج المؤمنين)

ثامنا: قصص المؤمنين بآيات الله، والمكذّبين بها، وذكر الإيمان النافع والإيمان غير النافع

قصتان فيمن جاءهم الحق وآيات الله:

فرعون وقومه الذي كذّب بآيات الله ولم يعتبر بما أخذهم الله به بالسنين ونقص من الثمرات لعلهم يذكرون وكشف الله عنهم العذاب ليعتبروا فلم يؤمنوا إلا بعد رؤية العذاب المهلك الذي يكون فيه الإيمان شهادةً وليس غيبا فلا ينفع معه إيمان

(فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا ۖ سُنَّتَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ ۖ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ)

قال الطبري: فلما رأت هذه الأمم المكذّبة رسلها بأسنا، يعني عقاب الله الذي وعدتهم به رسلُهم قد حلّ بهم... (قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ) يقول: قالوا: أقررنا بتوحيد الله، وصدقنا أنه لا آله غيره (وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ) يقول: وجحدنا الآلهة التي كنا قبل وقتنا هذا نشركها في عبادتنا الله ونعبدها معه، ونتخذها آلهة، فبرئنا منها.

فلم يك ينفعهم تصديقهم في الدنيا بتوحيد الله عند معاينة عقابه قد نزل، وعذابه قد حل، لأنهم صدقوا حين لا ينفع التصديق مصدقا، إذ كان قد مضى حكم الله في السابق من علمه، أن من تاب بعد نزول العذاب من الله على تكذيبه لم تنفعه توبته... انتهى

وكذلك فرعون

((وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَاءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدْوًا حَتَّىٰ إِذَا أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِي ءَامَنَتْ بِهِ بَنُوا۟ إِسْرَاءِيلَ وَأَنَا۟ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ءَالْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ))

جاءتك آيات بينات فكفرتَ بها

(ولقد أريناه آياتنا كلها فكذّب وأبى) رأى عصا موسى ويدَه وإيمانَ السحرة وثباتَهم، وغيرها من الآيات وكلُ آيةٍ أكبرُ من أُختها

ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦ فَظَلَمُوا۟ بِهَا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ (١٠٣) وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰفِرْعَوْنُ
إِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ (١٠٤) حَقِيقٌ عَلَىٰٓ أَن لَّآ أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ قَدْ جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِىَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ
(١٠٥) قَالَ إِن كُنتَ جِئْتَ بِـَٔايَةٍ فَأْتِ بِهَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ (١٠٦) فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ (١٠٧) وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِىَ
بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ (١٠٨) قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ (١٠٩) يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ ۖ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ (١١٠)
قَالُوٓا۟ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ (١١١) يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ (١١٢) وَجَآءَ ٱلسَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوٓا۟ إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا
نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ (١١٣) قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ (١١٤) قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِىَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ نَحْنُ ٱلْمُلْقِينَ (١١٥) قَالَ أَلْقُوا۟ ۖ
فَلَمَّآ أَلْقَوْا۟ سَحَرُوٓا۟ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ (١١٦) *وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۖ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا
يَأْفِكُونَ (١١٧) فَوَقَعَ ٱلْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ (١١٨) فَغُلِبُوا۟ هُنَالِكَ وَٱنقَلَبُوا۟ صَٰغِرِينَ (١١٩) وَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ (١٢٠) قَالُوٓا۟
ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ (١٢١) رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ (١٢٢) قَالَ فِرْعَوْنُ ءَامَنتُم بِهِۦ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِى ٱلْمَدِينَةِ
لِتُخْرِجُوا۟ مِنْهَآ أَهْلَهَا ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ (١٢٣) لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ (١٢٤) قَالُوٓا۟ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا
مُنقَلِبُونَ (١٢٥) وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتْنَا ۚ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ (١٢٦) وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ
فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ لِيُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ ۚ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَآءَهُمْ وَنَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَٰهِرُونَ (١٢٧)
قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ (١٢٨) قَالُوٓا۟ أُوذِينَا مِن قَبْلِ
أَن تَأْتِيَنَا وَمِنۢ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا ۚ قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ (١٢٩) وَلَقَدْ
أَخَذْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ بِٱلسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ (١٣٠) فَإِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلْحَسَنَةُ قَالُوا۟ لَنَا هَٰذِهِۦ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ
يَطَّيَّرُوا۟ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ ۗ أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (١٣١) وَقَالُوا۟ مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِۦ مِنْ ءَايَةٍ لِّتَسْحَرَنَا
بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ (١٣٢) فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلْجَرَادَ وَٱلْقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا

مُّجۡرِمِينَ (١٣٣) وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيۡهِمُ ٱلرِّجۡزُ قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَۖ لَئِن كَشَفۡتَ عَنَّا ٱلرِّجۡزَ لَنُؤۡمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرۡسِلَنَّ مَعَكَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ (١٣٤) فَلَمَّا كَشَفۡنَا عَنۡهُمُ ٱلرِّجۡزَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ هُم بَٰلِغُوهُ إِذَا هُمۡ يَنكُثُونَ (١٣٥) فَٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡ فَأَغۡرَقۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡيَمِّ بِأَنَّهُمۡ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ عَنۡهَا غَٰفِلِينَ)

وفي سورة الزخرف ((وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٤٦) فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِآيَاتِنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَضْحَكُونَ (٤٧) وَمَا نُرِيهِمْ مِنْ آيَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا وَأَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (٤٨) وَقَالُوا يَا أَيُّهَ السَّاحِرُ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ (٤٩) فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ (٥٠) وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ (٥١) أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ (٥٢) فَلَوْلَا أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِنْ ذَهَبٍ أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَائِكَةُ مُقْتَرِنِينَ (٥٣) فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ (٥٤) فَلَمَّا آسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ (٥٥) فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِلْآخِرِينَ))

بل رأى بعينه البحر انفلق لموسى وقومه فلم يعتبر وبقي على فساده

لذلك كان الجواب: (آلان وقد عصيت قبلُ وكنتَ من المُفسدين) ..

فجعله الله آيةً لمن خلفه

والقصة الثانية قوم يونس الذين كذبوا بآيات الله أول الأمر. ثم لما نزل بهم العذاب الذي يُقبل معه الإيمان آمنوا فنفعهم إيمانهم وبقوا على طاعة الله

(فَلَوۡلَا كَانَتۡ قَرۡيَةٌ ءَامَنَتۡ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوۡمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُواْ كَشَفۡنَا عَنۡهُمۡ عَذَابَ ٱلۡخِزۡيِ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَمَتَّعۡنَٰهُمۡ إِلَىٰ حِينٍ)

فالعذاب كان قد نزل، ولكن الله كشفه عنهم بإيمانهم، وعملوا بطاعة الله

ولو آمن غيرهم مثل إيمانهم لنفعهم إيمانهم

أما قوم فرعون فلمّا أخذهم بالعذاب ليرجعوا ادّعوا أنه إن كُشف رجعوا فلما كُشف بقوا على كفرهم واستمروا على فسادهم

(وَأَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (٤٨) وَقَالُوا يَا أَيُّهَ السَّاحِرُ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ (٤٩) فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ (٥٠) وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ ....)

(٥) عرض ملخص لمعاني آيات السورة

-إحكام القرآن -عجب المشركين من إيحاء الله لرجل منهم والمراد هنا النبي صلى الله عليه وسلم- رسالته بشارة ونذارة- افتراء الكافرين على رسول الله بأنه ساحر وأن كتابه سحر- آيات الله تعالى وبراهينه على كونه الربّ وتدبيره الأمور وألاّ شفيع إلا من بعد إذنه ولذلك هو المعبود الحق-البعث حق- للحساب والجزاء بالقسط كلٌّ بعمله- ذكر بعض آيات الله في خلقه وحكمة الله في خلقه وأنه بالحق ليس عبثا ولا لهوا ولا لعبا -**وهذه الآيات مُفصّلة لأهل العلم والإيمان والتقوى هم المنتفعون بها وإن كانت حُجة على الناس كافة -ذكرُ الغافلين عن آيات الله الذين رضوا بالدنيا ولا يرجون لقاء الله إما لا يؤمنون به أو لا يعملون له، وذكر جزائهم بسبب أعمالهم** -جزاء المؤمنين بإيمانهم وحمدهم ربهم على هدايته- **حكمة الله في عدم استجابته دعاء عبده في الشر، وذكر حال الإنسان عند نزول الضر به ثم حاله عند كشف الله الضر عنه – ذكر الأمم السابقة بظلمهم وكفرهم بآيات الله وكذلك يفعلُ الله بأمثالهم- وأنتم خلائف من بعدهم فماذا تعملون؟ أتعملون بعملهم فينالكم جزاؤهم أم تخالفوا سبيلهم فلكم جزاء المتقين**

القرآن من عند الله والرسول مُتبع له، مُبلغ ومبين لا يحق له التبديل فيه ولا الإتيان بغيره وذكرُ براهين عقلية على ذلك، وتحريم الافتراء على الله **والتكذيب آياته** وأنه صفة المجرمين (وهي إنذار لهم: ببيان شدة ظلم من كذب على الله / والمقصود مدعي الوحي، وشدة ظلم من كذّب بآيات الله والمراد مكذبو الرسل بعد علمهم بصدقهم)

إبطال الشرك الذي كان عليه مشركو قريش وغيرهم: اتخاذ شفعاء يُعبدون من دون الله

كان الناس على ملة واحدة فلما اختلفوا إلى أهل حق وأهل باطل وأن الله قضى بألا يُعجّل الحكم عليهم بل لهم أجل

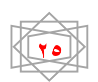
ذكر صورة من جحود المشركين وادّعائهم بعدم وجود براهين على صدق النبي صلى الله عليه وسلم

بعدما ذكر حال الإنسان في الضر ذكر أحوال الناس بعد إذاقة الله لهم من رحمته وأنهم لم يعتبروا بها ولم يشكروا ولم يؤمنوا بل زادا كفرا وتدبيرا للصد عن سبيل الله واللهُ أعلم بمكرهم وهو أسرع مكرا

وكذلك حالهم عند الشدة من الإخلاص لله في دعائه والوعد بالشكر، وحالهم بعد الإنجاء كفرٌ وبغي وفساد، وهم بذلك يظلمون أنفسهم وإلى الله مرجعهم وعنده جزاؤهم

مثل الدنيا وزُخرفها وطلب الناس لها وحبهم لها وطغيان الإنسان بظنه القدرة عليها وعلى تملّكه لما بين يديه، ثم يفنى كل ذلك ويزول بأمر الله

وإنما يعتبر بذلك أهل الإيمان فهي لهم آية



دعوة الله تعالى الناس إلى الجنة وإلى العمل لها ويهدي من يشاء

بيانُ جزاء المحسنين وجزاء، والذين كسبوا السيئات

حشرُ الناس ومشهد المشركين هم وشركاؤهم وبراءة كل منهم من الآخر

مرجع الناس إلا ربهم الحق

براهين الله تعالى في أنه الرب الحق والإله الحق وذكر شيء من آياته بأنه الرزّاق مالك النفع والضر والإحياء والإماتة وتدبير الأمر وبدء الخلق وإعادته، وهدايته على الحق ...فكيف تعبدون غيره الذي ليس له ما له ؟ وكيف تُصرفون عن قبول سبيله، فلا حجة لهم على ذلك

صدق القرآن وتصديقه للكتب السابقة وتفصيله وبيانه لأحكام الإسلام

ودفع الاعتراضات عنه ودحض الشبهات وبيان كذب دعواهم بأنه مفترى من دون الله

اختلاف أحوال الناس تجاه القرآن فمنهم مؤمن به وكافر

أمر النبي صلى الله عليه وسلم بالبراءة من دينهم

ذكر من لم ينتفع بسمعه وبصره ولا برؤية الآيات في النبي وفي القرآن وأن النبي لا يقدر على هداية القلوب وأنهم كالأعمى والأصم فكما أنك لا تقدر تهب لهم سمعا وبصرا فلا تملك لهم الانتفاع بسمعهم وأبصارهم، فلا تأس عليهم ولا تحزن فليس عليك إلا البلاغ

وصرفُ الله قلوبَهم ليس ظلما من الله لهم فلا يُضل الله عبدا إلا بسبب من نفسه فهو لا يظلم الناس شيئا

ذكر حشر المشركين وبيان سرعة انقضاء مدة بقائهم في الدنيا وأنهم خسروا فيها ولم يقدموا لآخرتهم، والله عالم بهم وإليه مرجعهم

ذكر تكذيب المشركين بالبعث وبيان عدم قدرة النبي على ملك ضر نفسه أو نفعها فهو عن علم الغيب أعجز، وجزاء هؤلاء المستعجلين للعذاب ولا يملكون دفعه

وإخبارهم بتصديقهم له بعد وقوعه حين لا ينفع الإيمان!

جزاء أعمالهم السابقة

وهم يستخبرون عن وعد الله لهم بالعذاب أهو حق؟ فأقسم بالله أنه حق وأنهم عاجزون عن دفعه، وطلبه الافتداء، والندم، وأن ذلك قضاء الله بالقسط وما ظلمهم الله، وذكر ملك الله تعالى لكل شيء فليس للكافر يومئذ شيء يملكه ليفتدي به، وصدق وعده وإن كفر به من كفر فبقي على كفره! فهو المحيي المميت وإليه المرجع

القرآن: من الله لا من النبي صلى الله عليه وسلم، فهو مبلغه للناس عامة، هو موعظة وشفاء لما في الصدور من جهل وهوى وشك ومرض، وهدى ورحمةٌ لمن آمن به واتّبعه خاصة لأنه يهديه لأسباب نجاته، وذلك هو فضل الله الإسلامُ، ورحمته القرآنُ الذي يستحق أن يُطلب ويُفرَح به وهو خيرٌ من كل ما يُجمع

ذكر بعض صور افتراء المشركين على الله بالقول عليه بغير علم في التشريع وجعلهم بعضه حلال وبعضَه حرما دون إذن شرعي من الله كما في النساء والأموال والحرث والأنعام وغيرها، وكان الواجب شكره على فضله واتباع أمره

ذكر شهادة الله تعالى وعلمه بأعمال خلقه وإحاطته فلا يعزب عنه شيء فكلُه في كتاب مبين يعني هو واقع كما كُتب وقُدِّر

ذكر صفة أولياء الله وجزائهم وفوزِهم وبُشراهم في الدنيا والآخرة

نهيٌ للرسول الله صلى الله عليه وسلم أن يصيبه حزنٌ من قولهم فيه وفي القرآن وفي البعث (وجاء في أول السورة قولهم ساحر–سحر–إنكارهم البعث) وغير ذلك

وسيختم السورة بأمره بالاتباع والصبر حتى يحكم الله

بيانٌ عزة الله وسمعه وعلمه بهم وملكه وأنه المعبود الحق وأن من أشرك به فلا حُجة معه مع ذكر آياته في خلقه الليل والنهار

وبيان مَن المنتفع بها وهو من يسمعها سماع طلبٍ للهدى

إبطال دعواهم الولد لله تعالى والمراد به هنا قولهم (الملائكة بنات الله) بأن الله له الملك وهو الغني فكيف يكون من هو في ملكه ولدا له، لا حجة لكم بل أنتم مفترون، وبيان جزاء المفتري

طرف من قصة نوح عليه السلام خاصٌ **إذ وعظهم بآيات الله فكفروا به وبها** (أمره أن يقص ذلك عليهم ليعتبرا به وبما حلّ بهم، وليعلم رسول الله أنه مسبوق بمن جاء بآيات وكُفر بها، ويعتبر ويقتدي بنوح في توكله على الله وعلمه بأن الله ناصره وصارف عنه كيدُهم وعجز آلهتهم) وأمره أن ينظر كيف كان عاقبة المنذَرين الذين كذبوا، وهذا حال أقوام الرسل بعده كفروا بالآيات كما كفر قوم نوح وهذه سُنة الله في المعتدين الطبع على قلوبهم فلا تنفعهم آيات عقوبة لهم على كما لم يؤمنوا به ... بخلاف قوم يونس كما سيأتي.

ذكر بعثة موسى وهارون **بالآيات واستكبار فرعون وملئه وإجرامهم عنها**، وادعائهم أنهما يريدان الملك والكبرياء والسلطان، وأنهما جاءا بسحر مبين كما ادّعى ذلك مشركو قريش على رسول الله

ثم ذكر إن الله لا يصلح عمل السحرة والمفسدين وأنه يُحق الحق

ومع كل هذه الحجج والآيات: ما آمن لموسى إلا القليل وهم خائفون من فتنة فرعون وملئه وهم أشراف القوم عن دينهم لعلمهم بإسرافه واستكباره، وقيل: هم أبناء من أرسل إليهم موسى، وقيل ذرية من قوم فرعون كامرأة فرعون ومؤمن آل فرعون والأقرب أنهم ذرية من قوم موسى وسيأتي حُجج ذلك في موضعه إن شاء الله

وذكر تصبير موسى قومه وتذكيره بالتوكل واستجابتهم ودعاءهم ألا يسلطه عليهم ولا يُعذبهم بعذاب من عنده حتى لا يقول فرعون وقومه: لو كانوا على حق ما سلّطنا عليهم = فيُفتنوا بنا، استعاذوا من كل معنى يكون صادّا لقوم فرعون عن الإيمان بالله بأسبابهم

وذكر وحي الله لموسى وأخيه باتخاذ البيوت بمصر ويصلوا فيها

دعاء موسى على فرعون وأن الله أعطاهم أموالا وزينة في الدنيا ليُضلوا عن سبيله فدعا أن يغير الله أموالهم إلى غير حالها أو أهلكها واشدد على قلوبهم **فلا تؤمن حتى يروا الغرق أو عذاب الآخرة الذي لا يُقبل معه إيمان** واستجاب الله

قصة إتباع فرعون وجنوده موسى وقومه وغرق فرعون **وإيمانه الذي لا يُقبل، وجعلِه آيةً، ولكن كثيرا من الناس غافل عن آيات الله**

ذكر نعم الله على بني إسرائيل بمبوّأ صدق ورزق الطيبات واختلافهم بعد بعثة النبي محمد فيه **وقد علموا براهين صدق نبوته،** والله يقضي بينهم يوم القيامة

وإن كنتَ يا محمد تشك في أنهم لم يكونوا يختلفون في نبوتك قبل بعثتك وكانوا يجدونك مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل فاسأل أهل الصدق منهم كعبد الله بن سلام ونحوه من أهل الصدق دون الكفار منهم (والنبي لم يشك ولم يسأل) **وبيان الله له بأنه قد جاءه الحق من الله ونهيُه عن الامتراء فيه و نهيُه عن أن يكون من المكذبين بآيات الله الخاسرين**

(وهو مناسب لما خُتمت به السورة واتبع ما يوحى واصبر حتى يحكم الله)

وسيأتي معنى هذه الآية بالتفصيل إن شاء الله ونبين عندها قاعدة مهمة في مثل هذه الآيات التي تعلّق حكما على شرط

وسيأتي بيان أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثر من أُمر ونهي وخوِّف من الله وحُذِّر لكماله ولأنه الأسوة وخير الناس

بيانُ حال الذين حقت عليهم كلمة الله بعدم قبول الإيمان وقت نفعه، وأنهم سيؤمنون بعد رؤية العذاب الأليم الذي لا تنفع عنده توبة ولا إيمان

ثم بيّن سيرة الأمم السابقة عند نزول العذاب الذي يُقبل معه التوبة والإيمان فبيّن أنهم لم يؤمنوا، وأنهم لو آمنوا لنفعَهم إيمانهم كما آمن قوم يونس فنفعهم إيمانهم

(وسيأتي تفصيل طويل إن شاء الله في هذه الآية وبيان خطأ مشهور في جعل قوم يونس مخصوصين بهذا الحكم بمعنى أن غيرهم آمن مثل إيمانهم لكن لم ينفعه إيمانه، ونبيّن الصواب إن شاء الله في آنهم لم يؤمنوا، ونبيّن أنواع العذاب النازل بالأمم وأن منه ما يُقبل معه الإيمان ومنه ما لا يُقبل)

بيانُ قدرة الله على إلزام جميع الناس بالإيمان لكنه جعله اختيارا فكيف تُكرههم أنت وذلك تخفيفا على النبي وبيان حكمة الله في أن يجعل الإيمان اختيارا دون إكراه وأن النبي ليس عليه هداهم فلا هو مُكلّف به ولا هو قادر عليه ولا مسؤول عنه فلا:

تُجهدن نفسك في طلب الهدى لهم

ولا تذهب نفسك حسرات عليهم

ومن كفر فلا يحزنك كفره

ولكن عليك البلاغ وعلينا الهدى والضلال والحساب والجزاء

والمعنى: اصدع بما تؤمر وأعرض عمن حقت عليه كلمة ربك بأنه لا يؤمن ولا تتصدّى لمن استغنى عنك

وبيان أن الإيمان بإذن الله وليس بمجرد رؤية الآيات فمجرد وجود أقوى الحجج ليست موجبة لهداية ما لم يأذن الله تعالى: تأمل هذا الموضع الجامع ((وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا ۚ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِندَ اللَّهِ ۖ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ * وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ * وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ * وَلِتَصْغَىٰ إِلَيْهِ أَفْئِدَةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ))

لا تظنوا أن الآية لقوتها ملزمة فلابد من إذن الله وإرادة الهدى منهم

فالهداية إلى الحق موقوفةٌ على إرادة الله أولا ((فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام...))

ثم قال: ((وَهَٰذَا صِرَاطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا ۗ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ))

وكل هذا مشابه لأكثر معنى في السورة الانتفاع بآيات الله

ولعله سبب تسمية السورة ب(يونس)

وسيأتي تفصيل ذلك كله إن شاء الله

وبيان أنه يجعل الرجس على الذين لا يعقلون الذين لا يؤمنون بآياته ولا يقبلونها يجعل عليهم السخط بكفرهم

بيانُ آيات الله في السماوات والأرض وبراهين كونه رب العالمين والإله الحق ثم بيان أنها لا تُغني ولا تنفع قوما حُكم عليهم بعدم الإيمان وقُضي أنهم من أهل النار ولن يؤمنوا إلا وقت لا ينفع إيمان

التحذير لكفار قريش ومن كفر بأنهم سيحل بهم ما حلّ بالمكذبين من الأمم الخالية لأنهم عملوا نفس عملهم

وحينما يقع ذلك فإنه لن ينجو منه سوى رسل الله وأتباعهم المؤمنين فهذا حق على الله بإنجاء أهل الإيمان

أمر الله للنبي صلى الله عليه وسلم ببيان دينه للناس وأنه إخلاص العبادة لله تعالى رب العالمين وترك الشرك وأنه مأمور بالإسلام، ولا يحق لكم الشك في ديني بل الواجب أن تشكّوا في عبادة من دونه من الأصنام والأوثان التي لا تملك ضرا ولا نفعا وهي مخلوقة بل أنقص منكم

وأمره بإقامة وجهه لدين الله مستقيما عليه غير مُعوجٍّ إلى دين أهل الكتاب أو المشركين

وأن يخلص العبادة لله فهو الذي يملك الضر والنفع دون ما سواه

وبيان عاقبة المشرك بأنه ظالمٌ لنفسه واضع العبادة غير موضعها

وبيان ملك الله للضر والنفع وكشف الضر وجلب النفع وبيان رحمته ومغفرته (وكأنه دعوة للمشرك بالتوبة والإيمان)

ختام السورة

هذا القرآن حق والرسول حق وأنت يا محمد عليك البلاغ المبين

فمن اهتدى فلنفسه ومن ضل فعليها

وليس عليك هداهم، ولا أنت مُسلّط عليهم، ولا جبّار ولا مسيطر

فاتبع الوحيَ واصبر حتى يحكم الله يعني: حتى يأتيك حكمٌ آخر من الله في شأنهم، وهو خير القاضين وأعدلهم كما جاء مثل ذلك في مثل قوله ((واصبر على ما يقولون واهجرهم هجرا جميلا))

وفي ختام سورة الطور قال الله ((وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ۖ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ..))

ولما بيّن الله تعالى براهين صدق النبي صلى الله عليه وسلم و بطلان أقوال المكذبين، أمره أن يصبر لحكم ربه القدري والشرعي بلزومه والاستقامة عليه، وامض لأمره ونهيه، وبلغ رسالاته

واصبر –أيها الرسول الكريم – (لِحُكْمِ رَبِّكَ) إلى أن يحكم الله بينكم ونُنزل بهم عقابنا فى الوقت الذى نشاؤه ونختاره، وَوعدَه اللهُ بالكفاية بقوله: {فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا} أي: بمرأى منا وحفظ، واعتناء بأمرك، وأمره أن يستعين على الصبر بالذكر والعبادة، فقال: { وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ }

وقيل هذا منسوخ بالأمر بالجهاد والإغلاظ عليهم، وقد حكم الله بينه وبينهم يوم بدر وأمره أن يسلك مع من بقي منهم ما أمر الله به من البلاغ والتحذير والجهاد وسيأتي تفصيل ذلك في موضعه إن شاء الله

(٦) سبب تسمية السورة:

السورة من القرآن قد يكون لها اسم أو أكثر وقد يكون لها صفة

من السور التي لها اسم واحد معروف (النساء – الأعراف– الأنعام)

سورة الفاتحة هي السبع المثاني وأم الكتاب و الحمد

سورة (محمد– القتال) سورة (الجاثية– الشريعة) سورة(النحل–النعم) سورة (الإسراء–بني إسرائيل) وسورة(غافر–المؤمن)

سورة (التوبة–الفاضحة)

وتكون التسمية لها مناسبة بالسورة بلا شك أو بمعنى يُراد العنايةُ به

وفي سورة يونس: بيّنَ سبحانه براهين الحق وآياته (في الخلق والأمر) وموقف الناس منها ومنهم الناظر المتفكِّر العا لم التقي المنتفع المؤمن بخبر الله ووعده والعامل بحقها، ومنهم الغافل عنها فلم يؤمن بها ولم يعمل بمقتضاها وكفر بالله وباليوم الآخر

ونماذج للمنتفعين والغافلين وجزائهم في الدنيا والآخرة

ونموذج قوم يونس المنتفعين بإيمانهم والعاملين به

وأنهم آمنوا بآيات الله فنفعهم إيمانهم

فلعلها دعوة للتأسي بهم في ذلك

وذكرُ يونس عليه السلام جاء في الصافات بأكثر من ذلك ولم تسمّ باسمه

وهنا جاءت إشارة مختصرة جدا لقومه، ولم يُذكر يونس في السورة بل ذُكر قومه فقط (لأنه عليه السلام تركهم وذهب مُغاضبا، ولم يكن بينهم ذاك الوقت)، وسياتي تفصيل ذلك إن شاء الله تعالى

ومع ذلك سُميت باسمه فلعلّه لما ذُكِر من انتفاعهم بآيات الله، والدعوة للتأسي بهم دون الأمم الهالكة المكذبة بآيات الله التي لم تؤمن إلا بعد رؤية بأس الله الذي لا ينفع معه الإيمان

فلعلّها سُميت بسورة يونس حتى يبقى مثل قوم يونس شاهداً على حكمة الله، وأن الإنسان هو الذي يُوبِق نفسه أو يُعتقها، ولأنهم بعد الإيمان والتوبة بقوا على العمل الصالح وعلى الهداية مع عدم وجود رسولهم، ففيها:

–أن الله تعالى هو الحق وأرسل رسله بالحق وأقام على الحق براهين

– من الناس من ينتفع بها ومنهم من لا ينتفع

– حكمة الله تعالى في أنه لا يُكره الناس على الإيمان، ولا يقبل إيمان المكره

-العبدُ له قدرة واختيار وإرادة فهو الذي يأخذ بسبل الهداية فيهديه الله أو سبل الضلال فيُضلّه وما ربك بظلام للعبيد

-تحديد وقت قبول الإيمان ونفعُه وهو أن يكون بالغيب، فلا يُقبل إيمان الشهادة ولا ينفع

-الانتفاع بآيات الله والإيمان بها والعمل بها ولو مع عدم وجود النبي بيننا

-وفيها صدق وعد الله بإنجاء المؤمنين.

والله أعلم